لماذا حذفوا من كتب الشافعي قوله في الإمام زين العابدين عليه السلام ؟

تقريرًا لمحاضرة للشيخ ياسر الحبيب

لجنة حفظ ونشر آثار الشيخ ياسر الحبيب

تأسست: صفر الأحزان ١٤٤٥هـ

Committee for Preserving and Publishing the

Works of Sheikh Yasser al-Habib

لماذا حذفوا من كتب الشافعي قوله في الإمام زين العابدين عليه السلام؟

📚 هوية الكتاب

العنوان : لماذا حذفوا من كتب الشافعي قوله في الإمام زين العابدين عليه السلام ؟

بيانات الإعداد والإنتاج:

الجهة المنتجة: لجنة حفظ ونشر آثار الشيخ ياسر الحبيب
الإخراج الفني: لجنة حفظ ونشر آثار الشيخ ياسر الحبيب
تصنيف الكتاب: عقائد
الطبعة: الأولى

المواصفات الفنية للنسخة:

نوع النسخة: إلكترونية
حجم الصفحة: A5
عدد الصفحات: [٦٢] صفحة
تاريخ الإنتاج: محرّم الحرام ١٤٤٧ هـ - ٢٠٢٦ م

⚠️ جميع الحقوق محفوظة
حقوق الطبع والنشر محفوظة للجنة حفظ ونشر آثار الشيخ ياسر الحبيب.

🌐 المنصة الرسمية المعتمدة:

لمتابعة جديد الإصدارات والآثار، تفضلوا بزيارة صفحة اللجنة الوحيدة والرسمية على التليجرام:

📣 **@turathalhabib**

لماذا حذفوا من كتب الشافعي
قوله في الإمام زين العابدين عليه السلام؟

تقريرًا لمحاضرة
للشيخ ياسر الحبيب

الطبعة الأولى | ١٤٤٧هـ | ٢٠٢٦ م
لجنة حفظ ونشر آثار الشيخ ياسر الحبيب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

وعلى آله آل الله واللعنة على أعدائهم أعداء الله

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أبى إلا أن يُتمَّ نوره ولو كره الجاحدون، والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين، سيدنا محمد، وعلى آلهِ الطاهرين، ورثةِ الكتاب وأُمناءِ الوحي.

أما بعد؛

فإنَّ من سُننِ التاريخ التي توالت عبر الأزمان، أن تتكالب أيدي الخصومِ على طمسِ معالم الحقِّ وتغييبِ مقاماتِ أهله. وقد كان للإمامِ الرابع، سيدِ الساجدين وزينِ العابدين، عليّ بنِ الحسين (عليهما السلام)، نصيبٌ من هذه المحاولاتِ البائسة؛ حيثُ سَعت إراداتُ المخالفينَ

ومناهجُهم إلى كِتمان مآثره، وتوريَة فضائله، وحَجْبِ مقامهِ العظيم عن عيونِ الأمة.

وإنَّ هذا السِّفْرَ الماثلَ بين يدي القارئ الكريم، ليقفَ بمرصادِ التحقيقِ أمام تلك المساعي؛ فيميط اللثامَ عن محاولاتِ المخالفين لطمسِ مقامات الإمام (عليه السلام)، ويكشفُ خبايا هذا التغييب، مُبدداً حُجُبَ الكِتمان بسطوعِ الحُجَّةِ وقوةِ الدليل.

وقد عُنينا بتحريرِ هذه المادةِ العلمية وصياغتها ببيانٍ عربيٍّ متين، يضعُ الباحثَ والقارئ المنصف أمام حقائقَ ناصعة، تاركاً له متعةَ التَّبصُّرِ في مضامينها، واستجلاءِ حُججها بنفسه.

نسألُ اللهَ تعالى أن يجعلَ هذا الجهدَ خالصاً لوجههِ الكريم، وذخراً ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون، وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

لجنة حفظ ونشر آثار الشيخ ياسر الحبيب
محرّم الحرام ١٤٤٧هـ | ٢٠٢٦ م

«اللهم صل على علي بن الحسين سيد العابدين، الذي استخلصته لنفسك، وجعلت منه أئمة الهدى الذين يهدون بالحق وبه يعدلون، اخترته لنفسك وطهرته من الرجس، واصطفيته وجعلته هادياً مهدياً. اللهم فصل عليه أفضل ما صليت على أحد من ذرية أنبيائك، حتى تبلغ به ما تقر به عينه في الدنيا والآخرة، إنك عزيز حكيم»[١].

هكذا عُلّمنا أن نصلي على مولانا زين العابدين عليه السلام من قِبل مولانا الإمام الحادي عشر، أبي محمد الزكي العسكري صلوات الله عليه.

شهادة الجاحظ والشافعي في حق الإمام السجاد (عليه السلام)

توجد رسالة تاريخية وأدبية للجاحظ تحمل عنوان: «فضل هاشم على عبد شمس»، والمقصود بها تفضيل بني هاشم على بني أمية.

---

[١] مفاتيح الجنان ص٦٦٥

وقد طُبعت هذه الرسالة ضمن مجلد بعنوان: (الرسائل السياسية) للجاحظ، حيث يذكر وهو في مقام تعديد مفاخر بني هاشم متسائلاً ومقرراً: **«ومن مثل علي بن الحسين زين العابدين؟ وقال الشافعي في الرسالة في إثبات خبر الواحد: وجدت علي بن الحسين وهو أفقه أهل المدينة يعوّل على أخبار الآحاد»**[١].

إذن، فإن الجاحظ ينقل عن رسالة ألفها الشافعي -إمام المذهب المعروف- في إثبات حجية "خبر الواحد". والمراد بخبر الواحد: هو الخبر الذي لم يرقَ في طرقه إلى حد التواتر، سواء كان خبراً فريداً أم تعددت طرقه دون أن تبلغ حد التواتر الموجب للقطع. وهناك نزاع أصولي معروف، وقع عندنا وعند المخالفين في مدى حجية هذا الخبر؛ وقد كان الشافعي ممن يذهبون إلى حجيته، فصنّف رسالة خاصة في هذا الخصوص. ومن جملة الأدلة التي ساقها لدعم هذه الحجية في نظره، قوله إننا وجدنا علي بن الحسين (عليهما السلام) يعول على خبر الواحد

---

[١] الرسائل السياسية للجاحظ ص٤٥٠

ويعتد به، شاهداً في حقه بأنه "أفقه أهل المدينة".

دلالات شهادة الشافعي وأهمية التمسك بالأفقه

إن هذه الشهادة تكتسب أهمية بالغة، لكونها صادرة عن محمد بن إدريس الشافعي، الذي لا يزال يتبعه شطر كبير من أبناء هذه الأمة المخدوعة، ولا سيما في مصر التي تدين غالبيتها بالمذهب الشافعي إلى يومنا هذا. إن تقرير الشافعي بأن "الأفقه هو علي بن الحسين زين العابدين صلوات الله عليه" ليس بالمسألة التي يمكن للمرء أن يمر عليها مرور الكرام.

وتكمن أهميتها، أولاً: في كونها صادرة من الشافعي الذي يُعد ركناً ركيناً في المذهب البكري المخالف. وحينما يُدلي بشهادة من هذا القبيل، فإنه ينطلق من استقراء حقيقي دقيق لجميع من يُعدّون من "فقهاء المدينة السبعة" -كما يُطلق عليهم- ليميز من بينهم علي بن الحسين (عليهما السلام) ويقضي بأنه هو الأفقه. وهذا بطبيعة الحال يشرع الأبواب أمام كل مسلم ينشد إصابة

الحق في عقيدته، وشريعته، وعباداته، ومعاملاته؛ إذ إن الإنسان الذي يتحرى الحق والأحق، ملزم بالضرورة أن يبحث عن "الأفقه" ويتحراه، لأن الأفقه أحق بالاتباع وأصوب في الفتيا من غيره.

ويُضاف إلى ذلك، أن هناك شريحة واسعة -وخاصة في مصر- ورغم كونهم على المذهب الشافعي، إلا أنهم متعطشون للتعرف على أئمة أهل البيت النبوي (صلوات الله عليهم) والنهل من فقههم. وثمة تساؤل مشروع يدور في أذهان الكثيرين حتى من غير الشيعة: لقد عرفنا فضل العترة الطاهرة (عليهم السلام)، وأيقنا أنهم أهل بيت نبينا (صلى الله عليه وآله)، ولا ينازع أحد في فضلهم وعلمهم وفقههم؛ ولكن أين هو هذا العلم والفقه؟ ولماذا لم نتعرف عليه حتى الساعة؟

فإذا وقفنا على عبارة بهذا الثقل، وشهادة بهذا الحجم من مثل الشافعي، فإن النتيجة المنطقية توجب على هذه الأمة أن تخضع لفقه العترة الطاهرة لكونهم الأفقه، وأن تنقاد لزين العابدين (عليه السلام)؛ لأنه أولى بالاتباع من غيره، بل هو أولى بالاتباع من الشافعي نفسه، ومن مالك،

وبقية أئمة المذاهب، نظراً لكونه أفقه أهل المدينة.

التساؤل عن غياب الفقه السجادي وتغييب فقه العترة

وثانياً -وهي نقطة في غاية الأهمية- تقرير وجود فقه متداول ومتكامل لعلي بن الحسين زين العابدين (عليهما السلام)، إلى الحد الذي مكّن الشافعي، الذي أتى بعده ببرهة من الزمن، من أن يميز بين هذا الفقه المأثور عن الإمام (عليه السلام) وبين فقه غيره، ليتوصل بشهادته تلك إلى أن فقه الإمام السجاد هو الأصوب لكونه الأفقه.

فأين هذا الفقه اليوم؟ وأين الذين يعلنون أنهم أتباع لزين العابدين (عليه السلام)، ويقولون: نحن نعملون بفقهه ولا شأن لهم بفقه أئمة المذاهب الأخرى؟ إن زين العابدين (عليه السلام) هو الأفقه، وهو أستاذ الأساتذة بشهادتهم، وهو من أهل البيت (عليهم السلام) الذين أمرنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) باتباعهم وتوقيرهم؛ فهو أحق بالاتباع، فلماذا لا نجد اليوم في أوساط

أهل الخلاف شريحة تقول: "نحن سجاديون" ولسنا حنفية ولا مالكية ولا شافعية ولا حنبلية؟

كيف ضاع هذا الفقه الجليل؟ وكيف تبددت معالمه فلم يبق منه عندهم إلا بضع روايات متناثرة هنا أو هناك، يذكرون فيها أنه (عليه السلام) سُئل في المسألة الكذائية فأجاب بكذا؟ إن هذه النقولات اليسيرة لا تكفي البتة لكي يحكم شخص كالشافعي بمثل هذا الحكم القاطع، ويشهد بأن "علي بن الحسين أفقه أهل المدينة".

الأيادي الآثمة وجنايتها على التراث العلمي لأهل البيت

إن الجواب الشافي عن هذا التساؤل يكمن في إدراك حقيقة دامغة: إن الأيادي الآثمة، عبر توالي العقود والقرون والأزمان، كانت تحرص حرصاً شديداً على محاصرة أهل البيت (عليهم السلام)، ومحاصرة كل ما أُثر عنهم، سعياً لمحو تراثهم وطمس علمهم وفقههم. ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل امتد لمحاصرة ومحو شهادات كل من أقر لهم بالفقاهة والأعلمية، حتى لو كانت تلك

الشهادات صادرة من كبار أئمتهم كالشافعي نفسه الذي تعرض نصه لهذا العبث.

ولبيان ذلك، ندعوكم للتأمل الدقيق: لقد نقل الجاحظ في رسالته عبارة صريحة عن الشافعي، وذكر أنها وردت في رسالته "في إثبات خبر الواحد". ولكننا حينما راجعنا كتاب «الرسالة» للشافعي -وهو مطبوع ومتداول اليوم ضمن مجاميع رسائله- وبحثنا في القسم المخصص لإثبات خبر الواحد من أوله إلى آخره، لم نجد هذه العبارة بعينها!

وكل ما وجدناه تحت عنوان "الحجة في تثبيت خبر الواحد" هو قول الشافعي: «**وفي تثبيت خبر الواحد أحاديث يكفي بعض هذا منها، ولم يزل سبيل سلفنا والقرون بعدهم إلى من شاهدنا هذا السبيل، وكذلك حُكي لنا عمن حُكي لنا عنه من أهل العلم بالبلدان...**». إلى أن يصل للحديث عن زين العابدين (عليه السلام) فيقول: «**ووجدنا علي بن حسين يقول: أخبرنا عمر بن عثمان عن أسامة بن زيد أن النبي صلى الله عليه وآله قال: لا**

يرث المسلم الكافر، فيثبتها سنّة ويثبتها الناس بخبره سنّة»[١].

فيستدل الشافعي بهذا الحديث، مبيناً أن علي بن الحسين (عليهما السلام) روى ذلك عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ومع أنه خبر واحد، إلا أنه يثبت به سُنة ويُمكن العمل بها، فيأتي به كدليل على حجية خبر الواحد وإمكانية إثبات السنة والعمل بها من خلاله.

ولكن، هل وجدتم في هذه العبارة المطبوعة اليوم وصف الشافعي لعلي بن الحسين بأنه "أفقه أهل المدينة"؟ إنها غير موجودة، بل محذوفة تماماً! والموجود فقط هو قوله: "ووجدنا علي بن حسين يقول". في حين أن العبارة التي ينقلها الجاحظ عن الشافعي من نفس هذه الرسالة يجب أن تكون: "ووجدنا علي بن حسين وهو أفقه أهل المدينة يقول...".

---

[١] الرسالة للشافعي ص٤٥٣-٤٥٥

أدلة التحريف الممنهج ومساعي التعتيم

إن الجاحظ حينما أورد هذه العبارة، كان في معرض بيان مفاخر بني هاشم وفضائلهم، وتفوقهم الساحق على بني أمية، فاستدعى كلام الشافعي خصيصاً لهذا الغرض. ومحل الشاهد وعمدة الاستدلال عنده هي شهادة الشافعي في رسالته بأن علي بن الحسين (عليهما السلام) هو "أفقه أهل المدينة". وهذا يعني قطعاً أن النسخة الأصلية التي كانت متداولة في زمان الجاحظ من كتاب «الرسالة»، كانت تتضمن هذه الشهادة الصريحة.

ومما يؤكد ذلك أن الجاحظ والشافعي كانا متعاصرين، فلم يفصل بينهما في المولد سوى تسع سنين (وُلد الشافعي سنة ١٥٠ هـ والجاحظ سنة ١٥٩ هـ، وتوفي الشافعي سنة ٢٠٤هـ بينما توفي الجاحظ سنة ٢٥٥ هـ). فالجاحظ ينقل من كتاب معاصره الشافعي شهادة جليلة وعزيزة، وكلاهما ذائع الصيت في زمانه، مما ينفي احتمالية الاشتباه في النقل نتيجة تقادم الزمن. وأضف إلى ذلك، أنه لو وقع اشتباه من الجاحظ،

لبادر الشافعي في حياته، أو تلامذته الذين يعدون بالمئات، إلى الاستدراك عليه وتخطئته علناً. غير أن انعدام أي أثر لمثل هذا الاستدراك يكشف بجلاء أن النسخة الأصلية من رسالة الشافعي كانت متضمنة للشهادة بالأفقهية لزين العابدين (عليه السلام).

فكيف آلت النسخة التي نتداولها اليوم إلى خلوها من هذه الشهادة؟ أية يد آثمة امتدت إلى كلام الشافعي لتجتث منه ما قاله في حق الإمام زين العابدين (عليه السلام)؟ وما الدافع وراء ذلك سوى الإمعان في محاصرة أهل البيت (عليهم السلام)، والحيلولة دون اطلاع الأمة على ما شهد به كبار أئمة القوم بحق أئمة الهدى الطاهرين؟

إن العقلية البكرية التعيسة تدرك يقيناً خطورة إبقاء مثل هذه النصوص؛ فهم يعلمون أن المعتقد بالشافعي إذا قرأ إقراره بأن علي بن الحسين هو الأفقه، فإنه سيلتزم عقلياً وشرعياً بوجوب اتباعه، وسيبدأ بالبحث والتفتيش في تراثه. ولما كان لن يجد عندهم إلا النزر اليسير من علمه وفقهه، فإنه سيجد نفسه لا إرادياً يلوذ

بأحضان الشيعة؛ لأنهم وحدهم من اهتموا بتراث علي بن الحسين (عليهما السلام)، ورووا كل ما أمكنهم روايته، وحافظوا عليه بمهجهم وأرواحهم. ومع ذلك ضاع الكثير مما ضاع عندهم بسبب الملاحقات والاضطهاد، فحالتهم تختلف جذرياً عن حال أولئك الذين ضيعوا التراث عمداً وحذفوه قصداً.

إن الحب الفطري المغروس في نفوس أبناء هذه الأمة لأهل البيت ولزين العابدين (عليهم السلام)، سيدفعهم عاجلاً أو آجلاً إلى التشيع، ولن يشذ عن هذا المسار إلا من كان معانداً، أو نبت لحمه على الحرام والعياذ بالله، أو جاحداً ومصراً على الغي والضلال. ولهذا السبب بالتحديد، امتدت يد التحريف لتطال حتى التراث الذي كتبه أئمتهم. وكما أسلفنا في سلسلة "أهل السنة أم أهل الخدعة" حول التلاعب بكتب الحديث وكيفية حذفهم وإضافتهم، وتبديلهم وتغييرهم، وتصحيفهم وتحريفهم، وبترهم ووضعهم؛ فإن هذه العمليات الممنهجة لم تقتصر على الأحاديث فحسب، بل شملت مجمل التراث، بما

فيه التراث الفقهي والأصولي كرسالة الشافعي؛ فاستأصلوا منها عبارة: "وكان أفقه أهل المدينة".

شكوى الإمام زين العابدين (عليه السلام) من الجحود والظلم

ولماذا كل هذا التعتيم الممنهج على مناقب العترة الطاهرة (صلوات الله وسلامه عليهم)، وعلى ما شُهد لهم به من قِبل الكبار عند الطائفة المخالفة؟

تتجلى الإجابة المؤلمة في أبيات شجية نطق بها الإمام السجاد زين العابدين (عليه السلام) نفسه، معبراً فيها عن عميق الأسى، وبالغ اللوعة من هذا الجحود، ونكران الجميل، والإيذاء المستمر الذي تلقته العترة الطاهرة (عليهم السلام) من هذه الأمة. يقول (عليه السلام):

نحنُ بَنُو المصطفى ذَوُو غُصَصٍ ... يُجَرَّعُها في الأَنامِ كاظِمُنا[1]

---

[1] أي نحن أهل البيت حتّى من يكظم غيظه منّا، فلا يبادر إلى فعل شيء؛ يُجَرَّع الغُصَص.

عظيمةٌ في الأَنامِ مِحْنَتُنا ... أوَّلُنا مُبْتَلىً وآخِرُنا
يَفْرَحُ هذا الوَرَى بعيدِهِمُ ... ونحنُ أعيادُنا مآتِمُنا
والناسُ في الأَمْنِ والسُّرُورِ وما ... يَأْمَنُ طُولَ الزمانِ خائِفُنا
وما خُصِصنا بهِ مِنَ الشَّرَفِ الـ ... ـطائِلِ بينَ الأَنامِ آفَتُنا
يَحكُمُ فينا والحُكمُ فيهِ لَنا ... جاحِدُنا حَقَّنا وغاصِبُنا

فهؤلاء هم أهل البيت (عليهم السلام)، حتى من يكظم غيظه منهم ولا يبادر إلى فعل شيء، فإنه يُجرّع الغصص ولا يُترك في شأنه وحاله أبداً. فما من إمام من أئمة أهل البيت (عليهم السلام) وصلحائهم إلا وتجرّع الغصص والمحن. لقد سُرقت حتى البسمة من أهل البيت (عليهم السلام)، وما ذنبهم سوى أنهم بنو المصطفى! الناس يعيشون في أمن ودعة وراحة، بينما آل محمد (عليهم السلام) خائفون، مشردون، ملاحقون، ما بين مقتول، ومسموم، ومسجون.

ولاحظوا التعبير العميق للإمام (عليه السلام) حين قال: "وما خُصِصنا بهِ مِنَ الشَّرَفِ الطائِلِ بينَ

الأَنامِ آفَتُنا. يَحكُمُ فينا والحُكمُ فيهِ لَنا جاحِدُنا حَقَّنا وغاصِبُنا"؛ فهذا الشرف الاستثنائي المميز والمخصوص الذي لم يدانهم فيه أحد، تحوّل في نظر الظالمين إلى آفة عليهم ومبرر لاضطهادهم. ولكم أن تستوعبوا مقدار الأسى واللوعة في قلب علي بن الحسين (عليهما السلام) وهو ينظم هذه الأبيات ليعبر عن هذه المعاني: كيف يتحكم في مصائرهم من هو جاحد لحقهم وغاصب لمقامهم، مع أن أصحاب الحق الشرعيين في الحكم وفي هذا الشرع القويم هم آل محمد (صلوات الله عليهم أجمعين).

غير أن أبياته هذه (صلوات الله وسلامه عليه)، ومع أنه يذكر فيها أنهم بنو المصطفى (صلى الله عليه وآله)، لا تعني إطلاقاً أنه (عليه السلام) كان يرضخ أو يخضع للظالمين والجبابرة. كما أنها لا تعني، من جانب آخر، أنه كان يستأكل -عياذاً بالله- بقرابته من رسول الله (صلى الله عليه وآله)، كما وقع في ذلك الكثيرون، حتى في زمان الإمام السجاد فضلاً عما تلاه من أزمان وصولاً إلى زماننا هذا.

فهناك آفة يجب الاعتراف بها؛ وهي أن بعضاً من الناس ممن ينتسبون إلى عترة رسول الله (صلى الله عليه وآله) من السادة أو الأشراف، تراهم تارة يتكبرون على الناس ويستطيلون عليهم بنسبهم، وتارة أخرى يستأكلون به. وهذه من أخطر الآفات؛ فليس هذا الاستئكال من سنة رسول الله وعترته الطاهرة (عليهم الصلاة والسلام) ولا من سيرتهم وهديهم.

تنزه الإمام السجاد (عليه السلام) عن الاستئكال بالقرابة النبوية

جاء في كتاب «دلائل الإمامة» للطبري (في الصفحة الرابعة والتسعين بعد المائة)، قال علي الرافعي: «**كان لعلي بن الحسين (عليهما السلام) ناقة حج عليها ثلاثين حجة، أو أربعاً وعشرين حجة، ما قرعها قرعة قط. وقيل له -وقد كان بَيِّنَ الفضل-: ما بالك إذا سافرت كتمت نسبك أهل**

الرفقة؟[١] **فقال: أكره أن آخذ برسول الله ما لا أُعطى**[٢] **مثله»**[٣]. ومفاد العبارة أنه (عليه السلام) يكره أن يكشف عن شخصيته الحقيقية، ويقول بأنه علي بن الحسين ومن أسباط رسول الله (صلى الله عليه وآله)، لئلا يعمد الناس حينئذٍ إلى توقيره وتعظيمه، وإعطائه ما لم يكونوا ليعطوه إياه لو لم يكن منتسباً لرسول الله (صلى الله عليه وآله). وهذه الظاهرة موجودة إلى يومنا هذا، وعادة المؤمنين جارية على أنه إذا حضر سيد هاشمي علوي، فإنه يُقدَّم ويُوقَّر، وتُفرش له الموائد، ويُخص بأنواع التكريم والطعام التي قد لا تُقدم لغيره، وهو أمر حسن لا بأس به.

ولكن، من عظيم تواضع زين العابدين (عليه السلام)، ومن مجاهدته لنفسه وزهده، أنه لم يكن يريد للناس أن يتعرفوا على شخصيته

---

[١] فهو عندما كان يخرج للحج ويلتحق برفقة ما، كان يكتم شخصيته ولا يذكر من هو

[٢] لعل العبارة قد ضُبطت في بعض النسخ: «ما لا أُعطي مثله»، لكنني أرجح أن الضبط الصحيح هو بالبناء للمجهول: «ما لا أُعطى مثله».

[٣] دلائل الإمامة ج١ ص١٩٦

الحقيقية حتى في طريق الحج، لكي لا يعاملوه بحيثية تفوق معاملتهم لغيره. فمن الطبيعي أنهم لو عرفوه لعظموه وأجلوه، وقدموا له أفخر أنواع الطعام، وأعطوه ما لم يكونوا ليعطوه إياه لو ظلت شخصيته مكتومة، فكان يكره ذلك.

وما كان منه (عليه السلام) هو أمر معلوم بالضرورة؛ فبمجرد أن تنكشف شخصية زين العابدين للناس يقدمونه ويعظمونه. ودونك الحادثة المشهورة في الحج، حينما أراد (عليه السلام) أن يستلم الحجر الأسود، فإذا بالحجيج -على الرغم من شدة الاكتظاظ- ينفرجون له سماطين، ويتركونه يستلم الحجر دون أدنى مزاحمة، في حين أن الحاكم آنذاك لم يستطع الوصول إليه، فتساءل: من هذا؟ فقيل له: هذا الذي تعرف البطحاء وطأته.

وهذا الموقف المهيب عند استلام الحجر الأسود لم يكن بتخطيط من الإمام زين العابدين (صلوات الله عليه)، بل إن الناس في الطواف قد عرفوا شخصيته؛ فالأشراف جميعهم يعرفون من هو. أما في رفقة السفر المكونة من خمسة أو عشرة أشخاص، فقد يغيب عنهم معرفته، لذا كان

(بأبي هو وأمي) كلما أراد الحج اختار رفقة لا يعرفونه، ليكون فيهم كأحدهم، كراهة أن يأخذ برسول الله ما لا يُعطى مثله.

وثمة شهادة أخرى تؤكد سمو أخلاقه (صلوات الله عليه) في هذا الشأن تحديداً، أعني عدم استئكاله بالقرابة النبوية، وهي شهادة أثبتها «ابن كثير» على الرغم من تعصبه ونهجه الأموي والتيمي، حيث أورد في كتابه «البداية والنهاية» قائلاً: **«وقال جويرية بن أسماء: ما أكل علي بن الحسين بقرابته من رسول الله (صلى الله عليه وآله) درهماً قط (رحمه الله ورضي عنه)»**[١].

نعم، لم يكن الإمام (عليه السلام) يستأكل بقرابته من رسول الله، ولكنه كان يفخر بها، وفي الوقت ذاته، كان يشكو من جحود هذه الأمة وعقوقها، ومن الأذى الذي كان يناله بسبب قربه من رسول الله (صلى الله عليه وآله)، حتى عبر عن أن هذه الصلة قد جُعلت آفة عليهم. وقد بلغ هذا الأذى حد الاستخفاف والسخرية والتضاحك من فسقة هذه الأمة.

---

[١] البداية والنهاية لابن كثير ج١٢ ص٤٨٧

الاستخفاف بأحاديث النبي (صلى الله عليه وآله) وعاقبة المستهزئين

وهذه رواية أوردها ثقة الإسلام الكليني (رحمه الله) في كتاب «الكافي» الشريف عن جابر، قال: **«قال علي بن الحسين (عليهما السلام): ما ندري كيف نصنع بالناس! إن حدثناهم بما سمعنا من رسول الله (صلى الله عليه وآله) ضحكوا، وإن سكتنا لم يسعنا».** فالإمام يتساءل بأسى: ماذا نصنع مع هؤلاء القوم؟ إن حدثناهم بأحاديث رسول الله سخروا واستهزؤوا وضحكوا، وإن سكتنا لم يجز لنا السكوت، إذ لا بد لنا من تبيان الحق.

قال جابر: **«فقال ضمرة بن معبد -وهو من جلسائه آنذاك-: حدّثنا. فقال (عليه السلام): هل تدرون ما يقول عدو الله إذا حُمل على سريره؟[1] قال: فقلنا: لا. قال: فإنه يقول لحملته: ألا**

---

[1] والمقصود بعدو الله هنا هو العاصي والمنحرف الذي لا ينجو، حين يموت ويُحمل على سريره إلى قبره، فهل تعلمون ماذا يقول لحملته ومشيعيه في تلك الأثناء؟

تسمعون؟ إني أشكو إليكم عدو الله، خدعني وأوردني ثم لم يُصدرني![1] وأشكو إليكم إخواناً واخيتهم فخذلوني، وأشكو إليكم أولاداً حاميت عنهم فخذلوني، وأشكو إليكم أولادًا حاميت عنهم فخذلوني[2]، وأشكو إليكم داراً أنفقت فيها

---

[1] ويعني بعدو الله هنا: إبليس (لعنه الله)، الذي خدعه ثم تخلى عنه ولم يقف معه.

[2] فغاية ما سيفعلونه، إن كانوا صالحين حقاً، أن يشيعوك ويبكوا عليك، ويقيموا لك مجالس العزاء لثلاثة أيام، وربما في اليوم الأربعين، وقد يقيمون لك ذكرى سنوية أولى، أو يتصدقون عنك ببعض المبرات، أو يستأجرون من يصلي عنك الصلوات الاستئجارية ويزور عنك. ولكن هذا كله يتركز غالباً في السنة الأولى، لتبدأ ذكراك بالتلاشي شيئاً فشيئاً في السنة الثانية، فالناس يلتهون بمعايشهم وحياتهم ومشاكلهم، وكذلك أبناؤك وأحفادك، وقلة من يتذكر أمواته بأكثر من قراءة الفاتحة. ولذلك، استغل حياتك ما دمت حياً تدب على الأرض بقدميك، واعلم أنه لا أحد سيخدمك إلا نفسك؛ فخذ معك من هذه الدنيا ما استطعت من الحسنات والباقيات الصالحات، ولا تعتمد على ظنك بأن أبناءك أو أقاربك أو من أحسنت إليهم لن ينسوك، بل سينسونك يقيناً.

حريبتي فصار سكانها غيري[١] فارفقوا بي. ولا تستعجلوا[٢]» هذا الحديث الشريف كان يرويه الإمام علي بن الحسين (عليهما السلام) لجلسائه، مبيناً لهم حقيقة ما يقوله عدو الله على سريره. ولكن انظروا إلى خباثة ضمرة بن معبد! فهو يمثل نموذجاً للبطالين الذين لا همّ لهم سوى السخرية والاستهزاء بكل شيء، حتى بالأمور الدينية العظيمة الجليلة. وهو صنف لا يزال موجوداً بيننا اليوم، يسخرون من الشعائر، ويعلقون باستهزاء في وسائل التواصل الاجتماعي، ويتهكمون على الأحاديث الشريفة والمبادئ الدينية، محولين إياها إلى أضحوكة. ولا يدرك أمثال هؤلاء العواقب الوخيمة التي تنتظرهم؛ فكل ضغطة زر في هذا

---

[١] فلطالما تعب في عمارة هذه الدار، وعصر قلبه في تشييدها لتكون فاخرة، وفي النهاية يجد نفسه قد تحول عنها إلى دار أخرى مظلمة تسكنها الديدان والعقارب والأفاعي، لتؤول داره في الدنيا إلى غيره من الناس.

[٢] ولعل هذا يفسر لنا سر الاستحباب الشرعي المتمثل في إنزال الميت ورفعه ثلاث مرات قبل إدخاله في حفرته؛ فالميت في تلك اللحظات يعاني من هول الموقف ورهبته، وحين يُدنى من القبر يشعر باقتراب لحظة الحساب وسؤال منكر ونكير وبدء العذاب، فيتم التريث به قليلاً ليتهيأ للنزول.

السبيل ستكون ناراً تكويهم حين يوضعون في حفرهم!

لقد كان ضمرة بن معبد يمثل هذه الشريحة المستهزئة في ذلك الزمان، فتخيل أنه جليس لحجة الله علي بن الحسين (عليهما السلام)، والإمام يروي هذا الحديث ويذكر هذه الحقيقة الغيبية، وإذا بضمرة يستهزئ قائلاً: «**يا أبا الحسن، إن كان هذا يتكلم بهذا الكلام، يوشك أن يثب على أعناق الذين يحملونه!**». لقد حوّل حديث الإمام إلى سخرية ماجنة، متخيلاً أن الميت سيقفز على أعناق مشيعيه!

عندها، توجه علي بن الحسين (عليهما السلام) بالدعاء عليه قائلاً: «**اللهم إن كان ضمرة هَزِئَ من حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) فخُذه أَخْذَةَ أَسِف**[1]».

---

[1] وقد ضُبطت الكلمة في بعض نسخ الكافي بلفظ (أَسَف)، والصحيح أنها بكسر السين (أَسِف)، والأسِفُ في اللغة هو الغاضب الشديد الغضب؛ أي: يا رب خذه أخذة وأنت غاضب عليه.

خطورة الاستهزاء بأحاديث أهل البيت ومواجهة أهل البدع

ولماذا دعا عليه الإمام؟ لأنه استهزأ بحديث رسول الله (صلى الله عليه وآله). وأذكر في هذا السياق حادثة جرت قبل سنوات عديدة، حيث نقل لي أحد المؤمنين أنه كان في مجلس يضم بعض المعممين، ودار نقاش حول منهجنا وأدبياته، فاستشهد هذا المؤمن بحديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) في مواجهة أهل البدع: «**إذا رأيتم أهل الريب والبدع من بعدي فأظهروا البراءة منهم وأكثروا من سبهم... كيلا يطمعوا في الفساد في الإسلام ويحذرهم الناس ولا يتعلموا من بدعهم**»[1]. وكان هذا الطرح جديداً على الساحة آنذاك، لتبيان أن لهذا المنهج أدلته وبراهينه. فما كان من أحدهم إلا أن التفت إلى الحاضرين وأضحكهم ساخراً بالقول: "هذا من أحاديث حسينية سيد الشهداء!" -نسبةً إلى

---

[1] الكافي ج٢ ص٣٧٥

الحسينية التي كنا فيها آنذاك- قاصداً بهذا التهكم أن الحديث معلّب ومصطنع لا قيمة له.

والحال أن هذا الحديث صحيح السند ومعتبر، ويستدل به كل فقهائنا قديماً وحديثاً في متونهم الفقهية، ويبنون عليه ويفرعون منه المسائل. وكنت حين أسمع مثل هذه النقولات أقول في نفسي: ويح هؤلاء! ألا يدركون ما ستؤول إليه عواقبهم؟ فقد يصيبهم ما أصاب ضمرة بن معبد والعياذ بالله إن لم يتوبوا. أيهزأ بحديث رسول الله ويستخف به مدعياً أنه حديث صُنع في حسينية؟! لأن الأمور في أمتنا باتت تُقاس بالأذواق الشخصية، فهو لا يروق له الحديث ويقول إن السب قبيح مطلقاً، بينما رسول الله (صلى الله عليه وآله) لا يقول بقبحه مطلقاً! نعم، السب قبيح في أصله، لكن سب أهل الريب والبدع أمر حسن عند رسول الله (صلى الله عليه وآله)، بل قد أمر به ووعد عليه بعلو الدرجات؛ فالقاعدة هي: لا إفراط ولا تفريط، فمن لا يستحق السب لا تسبه، ومن يستحقه لا تتحاشَ عنه، بل أعطِ كلاً حقه.

فمن يهزأ بحديث شريف كهذا، لا يدري أي جناية يجنيها على نفسه، لعل عاقبته تكون كعاقبة ضمرة بن معبد! فقد دعا الإمام السجاد (عليه السلام) عليه في نفس الجلسة قائلاً: «اللهم إن كان ضمرة هَزِئ من حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) فخُذه أَخْذَةَ أَسِف».

ويكمل الراوي جابر قائلاً: «**فمكث أربعين يوماً ثم مات، فحضره مولى له** -وقد حضر هذا المولى جنازة سيده، فانظروا بماذا يشهد وما هي الصورة المرعبة التي ينقلها!- **قال: فلما دُفن أتى علي بن الحسين (عليهما السلام) فجلس إليه، فقال له: من أين جئت يا فلان؟ قال: من جنازة ضمرة، فوضعت وجهي عليه حين سُوّي عليه[1]. فسمعت صوته والله أعرفه كما كنت أعرفه وهو حي، يقول: ويلك يا ضمرة بن معبد! اليوم خذلك كل**

[1] أي حين سُوّي قبره وأُهيل عليه التراب. وهنا أراد الله تعالى أن يُسمع هذا المولى صوت الميت ليوصل هذه الحقائق الغيبية للأمة، ومصداق ذلك ما روي عن النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) لمّا خاطب قتلى بدر قائلاً: «قد وجدت ما وعدني ربي حقاً، فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً؟». فقيل له: أتخاطب أمواتاً؟ فقال: «ما أنتم بأسمع منهم، ولكنكم لا تسمعون».

خليل، وصار مصيرك إلى الجحيم، فيها مسكنك ومبيتك والمقيل! فقال الإمام علي بن الحسين (عليه السلام): أسأل الله العافية، هذا جزاء من يهزأ من حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله)»[1].

فإياك أن تتورط في مثل هذه المزالق، ولتربِّ نفسك جيداً! حتى وإن مرّ بك حديث استصعبته أو اشمأزت منه نفسك؛ فقد ورد عن فرات بن أحمد عن علي (عليه السلام): «**إن حديثنا تشمئز منه القلوب، فمن عرف فزيدوهم، ومن أنكر فذروهم**»[2]. فالأمر قد يكون فوق المستوى الإدراكيّ عند بعض الأفراد.

فاحذر أن تسخر أو تستهزئ بحديثٍ لمجرد أنك اشمأززت منه؛ فقد تكون عاقبتك -والعياذ بالله- كعاقبة ضمرة. وهذا الحديث الذي نحن بصدده قد يكون متداولاً على ألسنة بعض الخطباء، لكونه مروياً في الكافي الشريف عن

---

[1] الكافي ج٣ ص٢٣٤

[2] بحار الأنوار ج٢ ص١٩٣

الإمام زين العابدين (عليه السلام)، وهو قصة بليغة وذات موعظة عظيمة.
غير أن ما لم يُلتفت إليه، هو أن عين هذه القصة وهذه الرواية مروية أيضاً في مصادر الخصوم، وعن الإمام زين العابدين (عليه السلام) كذلك، ولكن بتفصيلات أوسع قليلاً، وهو أمر بالغ الأهمية حريٌ بنا أن نقف عنده في هذا المجلس.

رواية السيوطي لقصة ضمرة وتطابقها مع رواية الكافي

فلنرجع إلى كتاب «الحاوي للفتاوي» لجلال الدين السيوطي، حيث ينقل الرواية عن ابن أبي الدنيا، بسنده عن أبي جعفر محمد بن علي (عليهما السلام)، أي الإمام الباقر. ولنلاحظ هنا أن الراوي لهذه القصة هو ابن الإمام السجاد نفسه (عليه السلام)، في حين أن رواية الكافي قد جاءت عن طريق جابر الجعفي.

يقول الإمام الباقر (عليه السلام): **"كان علي بن حسين يذكر أن العبد إذا احْتُمِلَ إلى قبره نادى حَمَلَتَهُ؛ فإذا بُشِّر بالنار فيقول: يا إخوتاه، ما**

علمتم ما عاينت بعدكم؟ إن أخاكم بُشِّر بالنار! فيا حسرتاه على ما فرطت في جنب الله! أنشد بالله كل ولد أو جار أو صديق أو أخ إلا احتبسني عن قبري، فإنه ليس بين صاحبكم وبين النار إلا أن تواروه في التراب! والملائكة ينادون: "امضوا بعدو الله! امضوا!". فتُسكته الملائكة وتقول: "امضِ عدو الله!". فإذا دنا من حفرته يقول: "ما لي من شفيع مُطاع، ولا صديق حميم!". ثم إذا أُدخل القبر ضُرب ضربةً تُذعر لها كل دابة غير الجن والإنس، وأما ولي الله إذا احْتُمِلَ إلى قبره وبُشِّر بالجنة، نادى حَمَلَتَهُ: يا إخوتاه، أما علمتم أني بُشِّرت بعدكم بالرضا من الله والجنة والنجاة من سخط الله والنار؟ فعجلوا بي إلى حفرتي! فيا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين! والملائكة ينادون: "امضِ يا ولي الله إلى ربٍّ كريم، يُثيب بالشيء اليسير العظيمَ الجليل!".

عِظَم الثواب على العمل اليسير وفضل قضاء حوائج الإخوان

وفي هذا المقام، لا تحقرنّ شيئاً من الأعمال البتة؛ لا من الذنوب والموبقات (والعياذ بالله)، ولا من الطاعات والمثوبات. فقد يكون عمل يسير سبباً لنجاتك، فيكافئك الله عز وجل عليه بالثواب الجليل العظيم، بفضله ومنّه وكرمه ورأفته، جراء شيء ربما لم تكن تحسب له حساباً. يُروى عن السيد نعمة الله الجزائري (تلميذ العلامة المجلسي رحمهما الله)، أنه قال: رأيت العلامة المجلسي بعد وفاته في نعيم ونضرة وسرور، فقلت له: شيخنا، لا بد أن هذا النعيم هو مكافأة من الله تعالى لك على موسوعة «بحار الأنوار»، التي هي من أجلّ آثارك وخدماتك؛ فهذا العمل هو ما أوصلك إلى هذا المقام، فالتفت إليّ وقال: "لا، ليس هو موسوعة البحار! بل كنت يوماً في أصفهان عائداً من المسجد إلى بيتي عبر السوق، فرأيت شجاراً بين رجلين وقد تجمهر الناس حولهما، وكان أحدهما يمسك بتلابيب الآخر ويطالبه برد دينه وصيحاته تعلو: أرجع لي

حقي! فتدخلت بينهما، وعلمت أن الرجل مدين للآخر بمبلغ من المال وهو معسر غير قادر على السداد، فأخرجت المبلغ من جيبي وأعطيته للدائن وانتهى الأمر".

إنه موقف يسير لم يكن في الحسبان، خاصة إذا ما قورن بتلك السنوات الطوال التي سهر فيها لياليه في تصنيف موسوعة بحار الأنوار. ولكن موازين يوم القيامة تختلف عن مقاييسنا البشرية؛ فنحن نعتقد أن المشاريع الكبرى غير المسبوقة هي وحدها التي توصلنا لأعلى المقامات، وهذا وارد بلا شك، غير أن ثمة أعمالاً تبدو يسيرة وبسيطة في ظاهرها، قد يغفل عنها الإنسان، وتكون هي الرافعة له إلى أسمى الرتب.

كموقف أن تجد أخاً مؤمناً مكروباً في السوق، والناس متجمهرون حوله وهو في شدة وعناء، فتبادر إلى تفريج كربته، وتدفع من مالك لتسدد عنه. إن إدخال السرور على قلب المؤمن بتفريج كربته يعني يقيناً -طبقاً لنصوص آل محمد (عليهم السلام)- أنك قد أدخلت السرور على

رسول الله (صلى الله عليه وآله)[١]. فأي مكافأة كبرى سينالها من يُدخل السرور على قلب النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله)؟ هكذا كافأ الله العلامة المجلسي (رحمه الله) بأضعاف أضعاف ما كافأه على موسوعة البحار!

لذا، لا تستصغر أمراً، ولا تقل: هذا عمل يسير قدمته في حياتي فلن يكون له أثر. فالقاعدة عند الله تعالى هي ما نادت به الملائكة: "يُثيب بالشيء اليسير العظيمَ الجليل!". قد تقدم عملاً يسيراً، لكن الله يجزيك عنه العطاء الجزيل. وتكمل الملائكة نداءها قائلة: **"اللهم اجعلها غدوةً أو روحةً إلى الجنة. فإذا أُدخل القبر، تلقّي بحزمة من ريحان الجنة، يجد ريحها كل ذي ريح غير الإنس والجن"**. فهذه الريحانة لها أثر محسوس في مخلوقات الطبيعة كافة، إلا أننا معشر الثقلين (الإنس والجن) محجوبون عن الشعور بها لأننا في دار ابتلاء وامتحان.

---

[١] في الكافي الشريف ج٢ ص١٨٨ عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): من سرَّ مؤمنًا فقد أسرّني، ومن سرّني فقد سرّ الله.

تفاصيل قصة ضمرة بن معبد في مصادر المخالفين

وبالعودة إلى الرواية، نلاحظ أن هذا النقل جاء من طرق الخصوم كما أورده السيوطي في «الحاوي» عن أبي جعفر (عليه السلام) عن والده الإمام السجاد (عليهما السلام). يكمل الإمام الباقر الرواية قائلاً: **"كان علي بن حسين إذا ذكر أشباه هذا الحديث بكى، ثم يقول: إني لأخاف الله أن أكتمه، ولئن أظهرته ليدخلنّ عليّ أذى من الفسقة!"**. وهذا المعنى يتطابق تماماً مع ما ورد في رواية جابر في الكافي: "ما ندري كيف نصنع بالناس! إن حدثناهم بما سمعنا من رسول الله (صلى الله عليه وآله) ضحكوا، وإن سكتنا لم يسعنا".

ويضيف السيوطي في نقله: **"وذلك أن علي بن حسين ذكر الحديث الذي ينادي حملته... فقال ضمرة بن معبد رجلٌ من بني زهرة** -وهنا تفصيل يفيد بأن ضمرة من بني زهرة، وهو ما لم يُذكر في الكافي-: **والله يا علي بن حسين، لو أن الميت**

يفعل كما زعمت بمناشدتك حملته، إذن لوثب عن أيدي الرجال من سريره! فضحك أناس من الفسقة، وغضب علي بن حسين وقال: اللهم إن ضمرة كذّب بما جاء به محمد رسولك (صلى الله عليه وآله) فخُذه أخذةَ أسِف، فما لبث ضمرة إلا أربعين ليلة حتى مات فجأة! قال الإمام الباقر (عليه السلام): فأشهدُ على مسلم بن شعيب مولاه -وهنا فائدة أخرى جليلة، فقد عُرف اسم المولى الذي لم يُسمَّ في رواية جابر- **وكان ما علمناه خياراً** -من الخيّرين- **أنه أتى علي بن حسين ليلاً فقال: أشهد أني سمعت ضمرة -أعرفه كما كنت أعرف صوته حياً- وهو ينادي في قبره: ويلٌ طويل لضمرة! إلا أن يتبرأ منك كل خليل، وحللت في نار الجحيم، فيها مبيتك والمقيل! فقال علي بن حسين: نسأل الله العافية، هذا جزاء من ضحك وأضحك الناس بحديث رسول الله (صلى الله عليه وآله)"[1].**

---

[1] الحاوي للفتاوي للسيوطي ج٢ ص٢٢٠

قاعدة "المرفوع حكماً" ورد شبهات المتقولين

يُعقّب السيوطي على هذه الرواية بتعليق بالغ الأهمية، يقول فيه: **"فانظر كيف ذكر علي بن حسين الحديث أولاً من غير تصريح بعزوه إلى النبي (صلى الله عليه وآله)، اتكالاً على علم ذلك؛ لأنه ليس مما يقال من قِبل الرأي، وإنما معتمده التوقيف والسماع"**. فالإمام لم يصرح في البداية بأنه من قول رسول الله (صلى الله عليه وآله)، بل ساقه مساق الإخبار المجرد، اتكالاً منه على قاعدة مستقرة، وهي أنه لا يُحدّث بمثل هذه المضامين الغيبية عن طريق الرأي والاجتهاد، بل لا بد أن يكون لها مستند شرعي وتوقيفي عن صاحب الشريعة الأقدس (صلى الله عليه وآله).

ثم يضيف السيوطي: **"ثم لما وقعت هذه القصة، صرّح بأنه حديث جاء به رسول الله (صلى الله عليه وآله)"**. أي عندما استهزأ ضمرة ووقعت الحادثة، صرّح الإمام بذلك في دعائه حين قال: **"اللهم إن ضمرة كذّب بما جاء به محمد رسولك (صلى الله عليه وآله)..."**.

ويستخلص السيوطي من ذلك حكماً أصولياً حديثياً بقوله: **"وبالجملة، فالحكم على مثل هذا بالرفع من الأمور التي أجمع عليها أهل الحديث"**. ومعنى قوله هذا؛ أن الأحاديث الصادرة عن أئمة الهدى بمثل هذه المضامين، حتى وإن لم تُنسب صراحةً إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فحكمها حكم "الأحاديث المرفوعة". فقول الإمام علي بن الحسين كذا، يعني بالضرورة: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله). فلا يشترط التصريح بالسماع من النبي أو الرواية عنه، ما دام مضمون الحديث توقيفياً سماعياً، فيُحكم برفعه لرسول الله لجلالة قائله؛ وهو أحد أئمة أهل البيت (عليهم السلام) المُجمع على جلالتهم ووثاقتهم وعلمهم وفضلهم، بل هو (الأفقه) على الإطلاق بشهادة الشافعي -والسيوطي شافعي المذهب كما هو معلوم-. ويؤكد السيوطي أن هذا الحكم هو محط إجماع عند أهل الحديث.

إن هذا التقرير الجليّ يفيدنا فائدة عظمى في دحض وتفنيد تلك الشبهة السخيفة التي طالما لوكها صبيان ورعاع الطائفة البكرية، الذين

يروّجون -وهم في ذلك عيال على ابن تيمية وأتباعه- زاعمين أن الشيعة لا يمتلكون أسانيد متصلة إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وأن أحاديث النبي في مصادرهم ومصنفاتهم قليلة جداً، وأن الأكثرية الساحقة منها مقطوعة أو موقوفة على أئمتهم.

نعم، نحن لا ننكر أن معظم أحاديثنا تنتهي أسانيدها لتقول: (عن أبي جعفر، أو عن أبي عبد الله الصادق، أو عن أبي إبراهيم الكاظم). وإذا ما قيست نسبة الأحاديث المرفوعة صراحةً إلى النبي بهذه الأحاديث، فستبدو قليلة ظاهرياً. وهنا يبدأ الجاهل وأمثاله بالتفاخر الزائف قائلين: انظروا إلينا أهل السنة! نحن من نروي عن رسول الله، أما أنتم فليس لديكم أسانيد متصلة به إلا القليل! بل قد تصل المكابرة ببعضهم إلى حد الزعم بانعدام أي سند متصل للشيعة إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله)! فإذا ضُيِّق عليه الخناق ونوقش، تراجع متذرعاً: قصدت عدم وجود سند "صحيح" متصل!

وهذه مكابرة مفضوحة، فالأسانيد الصحيحة المتصلة موجودة ومبثوثة. وقد ذكرتُ بنفسي

قبل سنوات في إحدى خطب العيد سنداً متصلاً كاملاً أرويه عن مشايخي وصولاً إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) في حديثه: **"الجنة محرمة على الأنبياء حتى أدخلها، ومحرمة على الأمم كلها حتى تدخلها شيعتنا أهل البيت".**

لقد دأبت الشيعة عبر العصور على الاهتمام البالغ بأحاديث النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله)، وضبط أسانيدها، والتنقيب في جرح وتعديل رواتها. وتلك مصنفاتهم وجوامعهم الحديثية طافحة بأحاديث رسول الله. ولكن، حينما تقوم بمقارنات سطحية مجحفة، خالية من الفهم العميق للمباني العلمية والاطلاع على أصول الرواية، فقد تظن وهماً أن أحاديث الأئمة (عليهم السلام) تفوق أحاديث رسول الله (صلى الله عليه وآله).

فيا أيها الغافل، أفق من سباتك! إن أحاديث الأئمة الأطهار (عليهم الصلاة والسلام) هي في حقيقتها وجوهرها أحاديث رسول الله (صلى الله عليه وآله). وأنت من فرط جهلك لا تعي ما يقرره علماؤك أنفسهم! فهذا السيوطي يقرر بجلاء أن

حديث علي بن الحسين -وإن لم يُصرح فيه بنسبته لرسول الله، ولولا الاستهزاء لما صُرِّح به- يُحكم بإجماع أهل الحديث بأنه من أحاديث رسول الله. فيكفينا فخراً ويقيناً أن يصل السند إلى قمة كالإمام علي بن الحسين زين العابدين، لنقطع جزماً بأنه حديث جده رسول الله (صلى الله عليه وآله).

حجية أحاديث أئمة أهل البيت (عليهم السلام) واتصالها برسول الله (صلى الله عليه وآله)

إن كان هذا التقرير الجليّ يصدر عن عالم غير شيعي، فما ظنك بالشيعي؟! أتريد من الشيعي -الذي يعتقد يقيناً بعصمة الأئمة، وبأنهم خلفاء رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وورثة علومه، وأن الإمامة تتوارث كابراً عن كابر- أن يبحث في أسانيد الإمام زين العابدين أو الباقر أو الصادق (عليهم السلام) للوصول إلى رسول الله؟

إذا كان السيوطي يقرر هذه القاعدة، ويقطع يقيناً بأنه حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله). لاسيما إذا كان محتوى الحديث لا يتعلق بمسألة

خارجية يقال فيها بالرأي، بل يتناول أموراً غيبية وما ورائيات، كأحوال الميت في قبره ونحوها؛ فمن المحتم إذن أن الإمام (عليه السلام) قد أخذه عن آبائه الأطهار، عن جده رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فيأخذ الحديث حينئذ حكم "المرفوع"، ويكون حديثاً مرفوعاً صحيحاً، لا موقوفاً ولا منقطعاً. فنحن أولى بألا نفتش في الأسانيد متى ما وصل الحديث إلى أئمتنا الأطهار

وبهذه الحجة الدامغة اقمعوا أولئك المشككين. فحينما يأتي الجاهل ليشكك زاعماً أن الشيعة ليس لديهم أحاديث متصلة برسول الله، ألقموه حجراً بهذا الإجماع من أهل الحديث بشهادة إمامهم السيوطي. إن الفارق الوحيد بيننا وبينكم يكمن في مدى موثوقية المصادر التي نروي منها أحاديث أئمتنا (عليهم السلام)، لا أن تأتي وتكابر مدعياً خلو مصادرنا من الأسانيد المتصلة المرفوعة إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله). فكل أحاديثنا حكمها الرفع، وهذا ما نص عليه أئمتنا الأطهار (عليهم السلام) في رواياتهم المشهورة.

فقد روي عن الإمام الباقر (عليه السلام) كما في كتاب «بصائر الدرجات» أنه قال: «**إنا لو كنا نحدثكم برأينا وهوانا لكنا من الهالكين، ولكنا نحدثكم بأحاديث نكنزها عن رسول الله صلى الله عليه وآله كما يكنز هؤلاء ذهبهم وفضتهم**».[1]

وكذلك ما رواه الإمام الصادق (عليه السلام) كما في «الكافي» الشريف قائلاً: «**حَدِيثِي حَدِيثُ أَبِي وَ حَدِيثُ أَبِي حَدِيثُ جَدِّي وَ حَدِيثُ جَدِّي حَدِيثُ الْحُسَيْنِ وَ حَدِيثُ الْحُسَيْنِ حَدِيثُ الْحَسَنِ وَ حَدِيثُ الْحَسَنِ حَدِيثُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام) وَ حَدِيثُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حَدِيثُ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) وَ حَدِيثُ رَسُولِ اللَّهِ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ**».[2]

فهذا هو معتقدنا الراسخ، فلا يحاولنّ أحد أن يتلاعب معنا بلعبة الأسانيد، مدعياً ضعف هذا الحديث أو ذاك؛ لأنه سيُلسع بنار جهله. إن

---

[1] بصائر الدرجات ص٢٩٩ ب١٤ ح١

[2] الكافي ج١ ص٥٣

مشكلة هؤلاء المخالفين تكمن في جهلهم بما تحويه كتبهم ومصادرهم، ويريدون أن يُعلّمونا بما في كتبنا! هم لا يعرفون المباني والأصول التي نلزمهم بها ونحاكمهم على أساسها.

الرد على المستهزئين ومناقشة مباني الخصوم (زواج المتعة أنموذجاً)

ترى المخالف الأخرق يحاول أن يحول نفسه إلى مهرج ليسخر من العقائد والأحكام، فيتهكم على زواج المتعة قائلاً: "أتزوجني أختك متعة؟"، غافلاً عن أن نصف طائفته كانوا يفتون بحلية المتعة! فالمكيون قاطبة، كابن جريج وأمثاله، تبعاً لابن عباس وغيره، كانوا يفتون بحليتها وأنها لم تُنسخ. بل إن هناك رواية عن أحمد بن حنبل يفتي فيها بحلية المتعة. فعلى أي شيء تستهزئ؟ إذا كان الاستهزاء والتهريج هو معياركم، فبمقدورنا أيضاً أن نبادلكم السخرية بسخرية مضادة، ونقول: كما زوّج إمامكم وخليفتكم أبو بكر بن أبي قحافة ابنته أسماء متعة[1]؛ فهل أنت

[1] راجع السنن الكبرى للنسائي ج٣ ص٣٢٦ ح٥٥٤٠

أشرف من أبي بكر؟ وهل أنت أشد غيرة منه؟ لقد كان الصحابة والصحابيات يتمتعون، وهذا ثابت في صحاحكم. فإذا كان هذا الأمر مخالفاً للشرف والغيرة كما تتوهمون، فهل يعنى ذلك أن الصحابة والسلف كانوا بلا شرف ولا غيرة؟ وإذا زعمتم -عياذاً بالله- أن نكاح المتعة يساوي الزنا، وهم يقرون قائلين: **"كنا نستمتع بالقبضة من التمر"**[1]. فهل تقصدون أن الصحابة والصحابيات كانوا يزنون؟

والأدهى من ذلك، أن هذا الطعن يلزم منه أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد أباح شيئاً قبيحاً وشرعه للأمة! فهل تفقهون مبانيكم الكلامية وأصولكم، سواء كنتم من الأشاعرة أو من أهل الحديث؟ هل تدركون عاقبة أن يصف شخص حكماً أحله رسول الله (صلى الله عليه وآله) برهة من الزمن بأنه قبيح بالذات؟ إن بعض علمائكم يكفرون من يتفوه بمثل هذه العبارة؛ لأن الأنبياء، وإن تبدلت شرائعهم ووقع فيها النسخ، فإنهم محال أن يأمروا بالقبيح الذاتي

---

[1] راجع صحيح مسلم ح١٤٠٥

(كالزنا مثلاً)، فيحلونه ساعة من نهار ثم يحرمونه. إن مسلماً موحداً يخاف الله واليوم الآخر لا يمكن أن يتفوه بمثل هذا.

إن مشكلتنا مع أبناء هذه الطائفة تتلخص في نزعة السخرية والاستهزاء، والدونية، ومحاولة الاستفزاز المستمر، على غرار صنيع ضمرة بن معبد. فهم لا يدركون أن هذا التهريج يعود بالوباء عليهم، وكل من يسلك مسلك الاستعراضات السخيفة البهلوانية، فاعلم يقيناً أنه خالي الوفاض، مفلس علمياً، فلا تأتِ لتعلمني بما في كتبي، وأنت غافل تماماً عما تطفح به كتبك.

توثيق التراث المكتوب واعوجاج سليقة المخالفين

وبناءً على إجماع أهل الحديث -كما حكاه السيوطي- فإن أحاديث السجاد والباقر والصادق والكاظم وسائر أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، لمكان جلالتهم ووثاقتهم، لا بد أن تكون مرفوعة إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وإن لم يلقوه. فإذا أتاك جاهل ليقول: "إن أئمتكم من السجاد فما دون لم يلقوا رسول الله، فليس لديكم أسانيد

إليه"، فقل له: أنت جاهل بقواعدكم؛ فهذه أحاديث حكمها الرفع بميزانكم ومبانيكم أنتم، فكيف بمبانينا نحن؟

وحتى حديث الإمام الصادق (عليه السلام): «حديثي حديث أبي...»، والذي يغمز به بعض الجهلة، له نظير موثق في مصادرهم يعضده. ففي كتاب «تهذيب التهذيب» لابن حجر العسقلاني، يقول: «**وقال سعيد بن أبي مريم: قيل لأبي بكر بن عياش: ما لك لم تسمع من جعفر وقد أدركته؟** -أي لماذا لم تأخذ عنه الحديث وأنت معاصر له؟- **قال: سألناه عما يتحدث به من الأحاديث أشيء سمعته؟ قال: لا، ولكنها رواية رويناها عن آبائنا**»[1].

لقد أثبت ابن حجر هذه الرواية. وهنا لا ينقضي العجب من أبي بكر بن عياش؛ فقد أراد أن يذم الإمام فمدحه من حيث لا يشعر! فهو يبرر عدم أخذه للحديث عن جعفر بن محمد (عليهما السلام) بأن الإمام أخبره أنه لم يسمع هذه الأحاديث سماعاً عابراً كما يسمع عوام الناس من

---

[1] تهذيب التهذيب لابن حجر ج٢ ص١٠٣

كل من هب ودب، بل هي روايات موروثة ومروية عن آبائه الأطهار (عليهم الصلاة والسلام).

لقد ترك أبو بكر بن عياش الأخذ عن الإمام لهذا السبب! فهل رأيتم اعوجاجاً في السليقة أعجب من هذا؟ إنه يفترض أن عدم السماع المباشر واعتماد الإمام على صحف وآثار وكتب آبائه يعد منقصة تمنع من الرواية عنه! مع أن العقل يحكم بداهةً بأن النص المكتوب، المدون، والموثق أدق وأثبت من النقل الشفهي الذي يعتريه النسيان والاشتباه وتبدل الألفاظ. فلو قال قائل اليوم: "هذه رواية البخاري"، فقلت له: "أنت لم تسمعها من البخاري"، لأجابك: "هي موجودة في كتابه"، وهذا أثبت وأوثق! فكيف إذا قال الإمام الصادق (عليه السلام) إن رواياته هي روايات آبائه الأطهار المستقرة في صحفهم المختصة بهم، ككتاب السجاد والباقر (عليهما السلام)؟ أليس ذلك أدعى للاطمئنان والاعتماد؟

ولكنه اعوجاج السليقة والعقلية المنكوسة لدى المخالف، الذي يجعل من مناط المدح ذماً، ويقلب الإيجابيات إلى سلبيات!

جناية التحريف على التراث الإسلامي والدعوة لركوب سفينة النجاة

وا أسفاه أن يضيع المسلمون العترة الطاهرة (عليهم الصلاة والسلام)، ويفرطوا في أحاديثها وتراثها وفقهها وأحكامها، رغم اعترافهم بأنهم الأفقه كشهادة الشافعي. ولماذا كل هذا التضييع؟ فقط لكي لا تتحول الأمة بأسرها إلى طائفة شيعية! إنهم يؤثرون البقاء على مذاهبهم حباً للدنيا وحفاظاً على الهياكل الدنيوية التي تأسست عليها، فليس من مصلحتهم التعبد بما جاء عن أئمة أهل البيت الأطهار، ولا حتى الإبقاء على شهادات أئمتهم (كأئمة المذاهب الأربعة) في حق آل محمد. ولهذا، حُذفت شهادة الشافعي التي نقلها الجاحظ عن كتابه، والتي تنص صراحة على أن "علي بن الحسين أفقه أهل المدينة"، حُذفت من النسخ المطبوعة والمتداولة اليوم!

وبعد كل هذا العبث، هل تريدون منا أن نعتمد على تلك الكتب المبتورة، أو نثق بأربابها؟ لقد عبثتم بكل شيء؛ تلاعبتم بالأحاديث، والآثار، والتاريخ، والفقه، والأصول، والتفسير. لم تحترموا

حتى إمامكم الشافعي واجتثثتم عبارته من كتابه. والحمد لله الذي حفظ القرآن الكريم وصانه من أيديكم، وإلا لكنتم قد عبثتم به أيضاً.

يا أمة الإسلام، لا بد لكم من اتخاذ موقف شجاع وقرار حاسم، لا سيما ونحن في رحاب عشية شهادة إمام العترة الطاهرة، علي بن الحسين زين العابدين (عليه السلام)، الذي أطبق المؤالف والمخالف على فضله وجلالته وعظمته وفقهه. أليس هو أولى بالاتباع من غيره؟ اذهبوا وتحروا فقه زين العابدين وعقيدته، فما أُثر عنه (عليه السلام) هو الذي ينجيكم ويوصلكم إلى الجنة. لن يوصلكم الشافعي، ولا ابن حنبل، ولا مالك، ولا أبو حنيفة؛ ابن رسول الله وإمام الحق، المنتمي لبيت طهره الله وأذهب عنه الرجس، هو وحده من يقودكم إلى جنة الرضوان.

فإلى متى هذا التردد والتحير؟ توبوا إلى الله تعالى وعودوا إلى رشدكم. لقد عمدتُ في هذا المجلس إلى المقارنة بين آثارنا وآثاركم، وواءمت بينهما لتتجلى لكم الحقيقة ناصعة؛ لتروا أن أحاديثنا مقررة في قواعدكم، وشهادات فضل أئمتنا مثبتة في مصادركم. كان يسعني الاكتفاء

بطرح ما عندنا، ولكنني نقبت في كتبكم ليطمئن قلب طالب الحق، وليتأكد المنصف من حجم التعتيم والمحاصرة التي مورست ضد أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، وحجم التحريف الذي طال الشهادات الصادعة بأعلميتهم وجلالتهم.

إن هذا العبث الممنهج لا يصدر عن مذهب راسخ يطمئن أهله إلى حقانيته وثباته، بل هو فعل من يشعر بأن بنيانه آيل للسقوط، فيسعى لترميمه بطمس الحقائق وإخفاء العيوب. فلا تجعل من نفسك مطية يمتطيها هؤلاء، بل سلم زمام دينك ودنياك لعترة نبيك الطاهرة (صلوات الله عليهم)، واركب سفينتهم التي شبهها النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) بسفينة نوح: «**من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق**»[1].

أسأل الله تعالى بحق الإمام زين العابدين (صلوات الله وسلامه عليه) أن يشمل هذه الأمة جمعاء برحمته وبركاته، وأن يوفقها للتوبة والعودة إلى دوحة الولاء لآل محمد (عليهم السلام) والبراءة من أعدائهم، وأن تصحح مسارها

---

[1] الجامع الصغير للسيوطي ح٨١٤٣

لنجتمع جميعاً على كلمة سواء تقودنا إلى جنة الخلد وجنات عدن. وصلى الله على سيدنا محمد وأهل بيته الطيبين الطاهرين.

تقديم.....٨

شهادة الجاحظ والشافعي في حق الإمام السجاد (عليه السلام)..... ١١

دلالات شهادة الشافعي وأهمية التمسك بالأفقه..... ١٣

التساؤل عن غياب الفقه السجادي وتغييب فقه العترة... ١٥

الأيادي الآثمة وجنايتها على التراث العلمي لأهل البيت...١٦

أدلة التحريف الممنهج ومساعي التعتيم..... ١٩

شكوى الإمام زين العابدين (عليه السلام) من الجحود والظلم.....٢٢

تنزه الإمام السجاد (عليه السلام) عن الاستئكال بالقرابة النبوية.....٢٥

الاستخفاف بأحاديث النبي (صلى الله عليه وآله) وعاقبة المستهزئين.....٢٩

خطورة الاستهزاء بأحاديث أهل البيت ومواجهة أهل البدع.....٣٣

رواية السيوطي لقصة ضمرة وتطابقها مع رواية الكافي.٣٧

عِظَم الثواب على العمل اليسير وفضل قضاء حوائج الإخوان.....٣٩

تفاصيل قصة ضمرة بن معبد في مصادر المخالفين..... ٤٢

قاعدة "المرفوع حكماً" ورد شبهات المتقولين.....٤٤

حجية أحاديث أئمة أهل البيت (عليهم السلام) واتصالها برسول الله (صلى الله عليه وآله)..... ٤٨

الـرد على المسـتهزئـين ومـناقـشة مـبانـي الـخصوم (زواج المتعة أنموذجاً)..... ٥١

توثيق التراث المكتوب واعوجاج سليقة المخالفين..... ٥٣

جـناية التحـريـف على الـتراث الإسـلامـي والـدعـوة لـركـوب سفينة النجاة..... ٥٦